# التعريف والنقد

# شرح أبيات سيبويه

## المنسوب إلى أبي جعفر النحاس

## القسم الثاني *

الدكتور محمد خير الحلواني

عرضنا في البحث السابق ما أحاط بتحقيق هذا الكتاب من أوهام، وصوبنا ما استطعنا تصويبه من نصه ، وسيكون لنا في هذا البحث مسلك آخر ، نرود فيه مجاهل قد نصل بعدها إلى الحقيقة ، أو إلى مايشبه الحقيقة.

— ١ —

وأول ما يهمنا الحديث عنه هو أن الكتاب في وضعه الراهن مضطرب أشد الاضطراب ، عبثت به أيدي النساخ ، وشوهته أيدي الملفقين ، يدنو من كتاب سيبويه حتى يكاد يلتصق به ، ويبعد عنه حتى يكاد يعارضه ، وهو تارةً كتاب في النحو في الكوفي ، يصدر عن مذاهبه ، ويستعمل

(*) نشر القسم الأول من هذا المقال في الجزء السابق ( مج ٥٣ ج ٢ ص ٤١١ )



هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

مصطلحاته ، وتارة أخرى كتاب في النحو البصري يقول بآرائه ، وينحو نحوه ، ويردّ على نحاة الكوفة صراحة .

ولعل أهم ما فيه من اضطراب أنك تجد العنوان في شيء ومايتضمنه في شيء آخر ، ففي الباب الذي عقده لما يجري « على المعرفة من سببها » ساق شواهد لما يجري على النكرة دون المعرفة . ( انظر : الصفحة ١٧١ وما بعدها ) وفي الباب نفسه تجد مقاطع غير قصيرة تنتمي إلى أبواب بعيدة جداً عن الموضوع العام ، كمجيء الأسماء الجامدة صفات كالمشتقة ( ص ١٧٢ ) واستعمال لغة : أكلوني البراغيث ( ص ١٧٣ ) وواضح جداً أن عنوان الباب لا يحتمل هذه الشوائب .

وفي باب سماه ( باب ما يرتفع ) ساق هذا الشاهد :

وابن اللبون إذا ما لُزّ في قَرَنٍ لم يستطع صولة البُزْلِ القناعيس

وقال بعده : « حجة بأن ( ابن اللبون ) لا يكون معرفة إلا بالألف واللام ، ولو أخرجت منه الألف واللام كان نكرة ( ص ١٩٣ ) وساق شواهد أخرى فيها ( بنات الماء ) و ( الثريا ) وكلها يجمعها باب آخر سماه سيبويه ( باب من المعرفة يكون فيه الاسم الخاص شائعاً في الأمة ) ، وليس هـــذا فحسب ، بل انتقل إلى شواهد أكثر مجافاة للموضوع العام ، تدور حول استعمال ( مِنْ ) نكرة موصوفة ، ( ص ١٩٤ وما بعدها ) . ثم انتقل بعـد ذلك إلى تقديم صفة النكرة على موصوفها ( ص ١٩٦ ) .

وفي باب آخر سماه « باب من العطف على المضمر » تحدث عن حروف الجر التي لا يجوز أن تجر الضمائر ( ص ٢٦٢ – ٢٦٣ ) وفي باب

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

( أي ) تحدث عن استعمال ( مَنْ ) نكرة موصوفة ( ص ٢٦٦ ) وعن استعمال ( ذا ) اسماً موصولاً ( ص ٢٦٧ ) وفي باب ( ما يذهب فيه الجزاء – أي ما يأتي فيه جواب الشرط غير مجزوم – تحدث عما لا يذهب فيه الجزاء ( ص ٢٩١ ) وعن جواب الطلب ( ص ٢٩٤ ) . وهذا كثير .

ويرتد بعض هذا التباين بين العنوان وما يتضمنه إلى أن الكتاب في أقسامه الأخيرة ، يتابع سيبويه في استطراداته التي يوضح فيها قياساً أو يشرح بها ظاهرة ، فهو يثبت الشاهد من دون تمهيد ، بل من دون إشارة إلى ما يريده ، ولا يجد في نفسه حاجة إلى أن يربطه بعنوان الباب الكبير ، كما يرتد بعضه الآخر إلى عملية النسخ ، فلا أشك في أن الناسخ أو النساخ الذين تعاوروا على نقل الكتاب ، قد قدموا مقاطع فيه ، وأخروا أخرى ، جهلاً أو سهواً .

– ٣ –

ولكن الشيء الذي يثير الانتباه هو ذلك التباين الغريب بين عنوانه جملة ، ومحتواه العام ، فهو موسوم بشرح أبيات سيبويه ، والحقيقة أنه ليس كذلك ، وإنما هو في قسمه الأول كتاب مستقل في النحو ، قد يلتقي بسيبويه في بعض الأبواب والشواهد ، ولكنه ينأى عنه في المصطلح ، والمذهب ، وبعض الأبواب ، وهو في قسمه الأخير تلخيص لسيبويه ، لا شرح لشواهده .

والذي يؤكد ذلك ما يلي :

١ – فيه أبواب ليست من أبواب كتاب سيبويه ، من ذلك الباب الذي عقده لـ ( ما يكون ظرفاً وما يكون اسماً ) فهو باب خاص موّ به

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

سيبويه مروراً عابراً في بعض فصوله ، ( انظر : ١ /٧٩ ، بولاق ) ولم يفصل التفصيل الذي تجده في هذا الكتاب . أضف إلى ذلك أنه لا يلتقي بسيبويه بغير شاهد واحد ، ثم لم يقف منه موقف الشارح ، بل عرضه عرض المحتج به ، وزاد عليه شاهدين آخرين ، وفوق ذلك تراه ينقل عن الخليل ويونس ، ويعرض للغة اليمن ولغة مضر ، وليس شيء من هذا في سيبويه [1] .

ويتبع ذلك أنه يبدأ بعض الأبواب بَدْءاً بعيداً عن كونه شرحاً لشواهد خاصة ، ويدل على أنه كتاب مستقل ، يقول في ( باب المضاعف الذي يرد على أصله في الشعر ) : « اعلم أنهم يبلغون بالمضاعف من الكلام الأصل في الشعر ، نحو : رددوا ، وشددوا ، يريد : شدّوا وردّوا ، قال الشاعر :

مهلاً أعاذلَ قد جربتِ من خلقي ... أني أجود لأقوام وإن ضَنِنُوا

فرد التضعيف كما ترى ، وإنما يفعلون ذلك على أن يردوا الفعل إلى أصله ، وأصله : ضننوا ، بنونين » ( الصفحة ١١ ) .

وفي باب آخر عقده لإسقاط حروف الجر ، ومما هـا ( الصفات ) — كما يسميها نحاة الكوفة — قال : « إذا حسنت الصفة في اسم ، ثم نزعتها منه ، فانصب الاسم الذي نزعت منه الصفة ، قال الشاعر :

أمرتُكَ الخيرَ فافعل ما أمِرْتَ به ... فقد تركتُكَ ذا مالٍ وذا نشبِ

فقال : أمرتك الخيرَ ، على معنى : أمرتك بالخير » ( ص ٢٥ )

---

(١) وانظر أيضاً : ٢٩ و ١١٨

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وهذا في القسم الأول كثير ونقع عليه أحياناً في القسم الثاني ( انظر : ٤٧ ، ٤٩ ، ٥٤ ، ٥٩ ، ٦٣ ، ٦٦ ، ٣٢٢ ، ٣٢٧ ) .

٢ — وهناك شيء آخر ذو دلالة واضحة جداً ، هو أن كثيراً من شواهده يوجهها غير توجيه سيبويه ، بل يخالفه فيها أحياناً ، من دون أن يذكر رأي سيبويه ألبتة ، ولا سيما في القسم الأول منه ، وقد يقع هذا في القسم الثاني .

ولا شك أن عرض الشواهد كلها هنا يحتاج إلى مكان أرحب مما يتسع له هذا البحث ، ولهذا سأكتفي بعرض ثلاثة نماذج فقط ، مشيراً إلى مواضع النماذج الأخرى .

● ساق في بعض الأبواب قول ضابيء البُرْجمي :

ومن يك أمسى بالمدينة رحله فإني ، وقيّارٌ بها ، لغريب

وقال عنه : « مقدم ومؤخر ، ومعناه : فإني لغريب بها وقيار ، قال : وسمعت الخليل بن أحمد وعيسى بن عمر ينشدان هذا البيت بالنصب » . ( ص ٣٣ ) .

ففي هذا النص شيئان يخالف بهما سيبويه ، أولهما أنه اعتمد رواية الرفع في ( قيار ) ، على التقديم والتأخير كما قال ، أما سيبويه فقد اعتمد رواية النصب ، والثاني أنه جعل رواية الرفع أجود من رواية النصب ، فقال : « وأجوده الرفع » . أما سيبويه فقد ساقه ليدل على أن خبر الأول يجزىء عن خبر الثاني . ( انظر ١/ ٣٨ بولاق ) . والغريب أن المؤلف يروي سماعه عن الخليل وعيسى بن عمر ، وهي الرواية التي توافق رواية سيبويه الذي أخذ عن الشيخين كليهما .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

● وفي موضع آخر أثبت الشاهد المعروف :

يا سارِقَ الليلةِ أهلَ الدار

ثم شرحه بقوله : « يا سارق الليلةِ ، فأضاف إلى الليلة حين جاورت الليلةُ الاسمَ الذي أضيف إليها ، فأما الخليل فإنه أنشدني :

يا سارِقَ الليلةَ أهلِ الدار

على تأويل : يا سارق أهلِ الدارِ الليلةَ . فهما لغتان ، يا سارق الليلةِ أهلَ الدار ، لغة بني تميم ، ويا سارق الليلةَ أهلِ الدار ، لغة قيس » . ( ص ٤٤ ٤٥ ) .

والرواية التي سمعها المؤلف من الخليل أثبتها سيبويه ، ولكنه لم يجعلها لغة قيس ، كما فعل المؤلف ، بل قصرها على ضرورة الشعر ، قال : « ولا يجوز : يا سارقَ الليلةَ أهلِ الدار . إلا في شعرٍ كراهيةَ أن يفصلوا بين الجار والمجرور . » ( سيبويه ١/٨٩ – ٩٠ بولاق ) .

● وأثبت في موضع آخر قول رؤبة :

إني وأسطارٍ سطرن سطرا

لقائل : يا نصرُ نصرُ نصرا

ثم قال : « فهذا يُروى على ما أخبرتك به ، ويرويه بعضهم : يا نصر نصراً نصرا . على : انصرني انصرني . فوضع المصدر وهو قوله : نصراً مكان : انصرني . كما تقول : ضرباً ضربا ، تريد : اضرب اضرب . » ( ص ٢١٤ – ٢١٥ )

ولعله يريد بـ ( بعضهم ) شيوخ سيبويه ، لأنه في ( الكتاب ) على رواية النصب ، وأنت تراه يجعل ( نصرا ) مفعولاً مطلقاً ، على حين يجعلها سيبويه عطف بيان . ( انظر ١/٣٠٥ بولاق ) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ومعظم توجيهاته في باب الاستثناء لاتختلف عن توجيهات سيبويه فحسب ، بل تناقضها مناقضة صريحة ، كالشواهد ذات الأرقام ( ٤٨٠ ، ٤٨٧ ، ٤٨٨ ، ٤٨٩ ، ٤٩٠ ) فهو يصدر فيها عن مذاهب كوفية ثابتة في كتب الكوفيين ، وفي كتب من نقلها من المتأخرين .

٣ - وهناك دليل ثالث ، هو أن المؤلف ينقل بعضاً من شواهد سيبويه عن الشيوخ القدماء ، وبعض ما ينقله عنهم من تأويلات لأوجه الظواهر لم يثبته سيبويه ، وسأعرض من ذلك نموذجين اثنين :

● اثبت في الصفحة ( ٤٥ ) هذا البيت :

وكرارِ خلفَ المُحْجرين جوادَه إذا لم يحام دون أنثى حليلها

ثم علق عليه بقوله : « قال : وكرار خلف .. حين فرق بين الاسم والاسم أضاف إلى الصفة ، وأحلها محل الاسم ، وأما يونس فإنه أنشدني :

وكرارِ خلفَ المحجرين جوادِه

على تأويل : وكرارِ جوادِه خلفَ المحجرين . »

فهذا البيت من رواية سيبويه حقاً ، ولكن رواية يونس لا وجود لها في ( الكتاب ) ( انظر ١/٩٠ بولاق ) وروايته إنشادَ يونس بهذه المباشرة يقطع بأن المؤلف أخذ عن يونس ، ولم ينقل الشاهد عن سيبويه .

● وفي الصفحة ( ١٣٥ ) أثبت قول الشاعر :

يا ميُّ إن تفقِدي قوماً ولدتهم أو تُخْلسيهم فإنّ الدهر خلاسُ
عمرٌو وزيدٌ مناةٍ والذي عهدتْ ببطن عرعرَ آبي الضيمِ عباسُ

ثم قال : « والخليل رواه بالنصب على البدل » . ورواية الخليل ورأيه

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

لم يذكرهما سيبويه ألبتة . (انظر : ١/٢٢٥ بولاق) .

وعلى هذا تجد المؤلف لايشرح رأي سيبويه ، ولايوضح توجيهه الذي ذهب إليه ، بل يروي عن الشيوخ القدماء انشاداً خاصاً ، على أن بعض هذه الشواهد تلتقي برواية سيبويه (انظر : ٩ ، ٣٣ ، ٤٠ ، ٤٤ ، ٥٧ ، ١٣٤)

٤ — والدليل الرابع يَعْضُدُ الدليلَ الذي قبله ، فهناك شواهد ليست في سيبويه ، وقد نقلها المؤلف عن أمثال الخليل ويونس ، أو عن العرب مباشرة ، مما يؤكد أن الكتاب ليس شرحاً لشواهدَ ، وأن مؤلفه قديم معاصر لأولئك الشيوخ ، وأن له سماعاً من فصحاء العرب ، فمما رواه عن الخليل وليس في سيبويه قول الشاعر :

إنِ الحيَّ والقومَ الذي أنا منهمُ لأهلُ مقاماتٍ وشاءٍ وجاملِ

(ص ٥٩)

وقوله :

فلا لغوٌ ولا تأثيم فيها وما فاهوا به لهم مقيم

(ص ٤٩)

وهذا من شواهد النحو التي شاعت في المتأخرين .

أما ما أنشده عن يونس وليس في سيبويه فهو قول الشاعر :

إن شرخ الشباب والشعرَ الأسـ ـود ما لم يُعاصَ كان جنونا

(ص ٣٥)

وقوله :

وأعور من نبهانَ أمّا نهاره فأعمى وأما ليله فبصير

(ص ٤٨)

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ومما رواه عن العرب التميميين قول ذي الرمة :

تلك الفتـــاة التي علقتها عرضاً إن الكريم وذا الاسلام يختلب

( ص ٣٦ . وانظر : ٤٧ ، و٦٢ )

٥ – وفي معظم المواضع تجد عبارته في تحليل الشـــاهد وشرح ظاهرته تقصر عن عبارة سيبويه ، بل تكاد تكون مبهمة إذا هي قيست إليهـا ، والمعروف أن كتب الشروح إنما تفيض في التوضيح ، وتعرض الظاهرة عرضاً أكثر تفصيلاً من عرض الكتاب المشروحة شواهده . ودونك هذه النماذج الثلاثة :

● وفي الصفحة ( ٢٥٦ ) أثبت بيت ( الكتاب ) :

ونحن اقتسمنا المال نصفين بيننـا فقلت لهم هذا لهـاها وذا ليـــا

وكل ما قاله في شرحه هو : « أراد : وهذا ليا ، ففصل وقدم . » أما عبارة سيبويه فهي : « كأنه أراد أن يقـول : وهذا لي ، فصيّر الواو بين ( ها ) و ( ذا ) » ( ٢/٣٥٤ هارون ) فليت شعري كيف يكون ذاك الكلام شرحاً لهذا . ؟؟

● وأثبت في الصفحة ( ٢٦٠ ) قول يزيد بن الحكم :

وكم موطنٍ لولاي طحت كما هوى بأجرامه من قـلة النيق منهوى

وقال بعده : « حجـة بأنه قال : لولاي ، ولم يقل : لولا أنا ، لأن ( لولا ) ترفع ، وأنا ضمير مرفوع . » أما سيبويه فقد ساق في الظاهرة كلاماً طويلاً ثم أثبت الشاهد ( انظر ٢/٣٧٣ هارون ) .

● وفي الصفحة ( ٢٩٩ ) أثبت قول الشاعر :

صددت فأطولت الصدود وقلمـا وصال على طول الصدود يدوم

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ثم علق عليه بقوله : « قلما لا يليه إلا الفعل ، وفصل في هذا البيت .» أما سيبويه فقد ذكر أنهم أخلصوا ( قلما ) للفعل ، ولكن « قد يجوز في الشعر تقديم الاسم » . ( انظر ٣/١١٥ )

٦ – وإلى جانب هذا نجد في الكتاب ظواهر نحوية مشروحة ولم يثبت المؤلف لها شواهد ألبتة ، من ذلك قوله : « ويمنع صرف المعدول من الأسماء مثل : جعار ، وحذام ، ورقاش ، وحلاق ، وبداد ، وجماد . فـ ( جعار ) معدول عن جاعرة ، وسميت بذلك لعظم بطنها ، وهي الضبع . وجماد معدول عن جامدة ، وحلاق عن حالقة ، و .. الخ » ( ٣١٥ – ٣١٦ )

وكذلك فعل في قوله : « وقالوا حاجة وحاج ، وساعة وساع ، وقالوا : تمرة وتمر ، وحيقة وحيق . » ( ص ٣٢٧ )

ولا شك أن مثل هذه الظواهر المشروحة بلا شواهد ، ذات دلالة على طبيعة الكتاب ، وعلى أنه ليس بشرح للشواهد .

٧ – وإلى جانب هذه الأدلة المتقدمة ، نجد المؤلف قلما ينسب البيت إلى قائله ، وكثيراً ما يكتفي بقوله : قال ، أو : قال الشاعر ، وأيّ كتاب في شرح الشواهد يفعل هذا ؟ فمنذ فجر الدراسة النحوية عني النحاة بشواهد سيبويه ، ونسبوا معظمها إلى قائليها ، وهي قصة معروفة تناقلتها كتب الطبقات والأخبار ، فكيف يتصدى شارح لأبيات سيبويه ولا يكلف نفسه مئونة النسبة ، بل إنك لتجد البيت في سيبويه منسوباً إلى قائله ، ولا تجده كذلك في هذا الكتاب .

٨ – وآخر هذه الأدلة أنك تجد المؤلف لا يذكر اسم ( سيبويه )

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

ألبتة ، في معرض الحديث عن الشاهد ، ولا في معرض شرح موضع الظاهرة المحتج لها ، وإنما ذكره في الكتاب كله مرتين فقط ، ذكره ذكراً عابراً ، كأن ينقل عنه خبراً أو ينسب إليه رأياً . ( انظر : ٢١٣ ، و ٣٢٧ ) وكان أقرب إلى المنطق أن يكثر من ذكره والعودة إلى آرائه ومذاهبه ، كما تفعل كتب الشروح المعروفة .

٩ – وعلى الرغم من هذا كله نجد مواضع من الكتاب تدل دلالة واضحة على أنه متصل بسيبويه وشواهده ، على شكل يوحي بأنه تلخيص له ، لا شرح لأبياته فقط ، ولا سيما في قسمه الثاني ، ففي الصفحة (١٤١) أثبت قول الشاعر :

ومن يك سائلاً عني فإني وجروة لا تُزار ولا تمار

وقول الآخر :

ومن يك أمسى بالمدينة رحله فإني وقيار بها لغريب

ثم قال : « وضع هذين البيتين حجة في أنه صير الواو في معنى ( مع ) يريد : فإني مع جروة - فإني مع قيار » . ويلقاك مثل هذا في الصفحات ( ١٤٢ ، ١٤٨ ، ٢٠٣ ، ٢١٨ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٣١ ، ٢٣٨ ، ٢٤١ ، ٢٤٧ ، ٢٥٣ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ ) .

ولا شك أن هذا الاضطراب في أبواب الكتاب يدل على أنه غير سَوِيّ ، وأنه لم يؤلفه رجل واحد ذو مذهب واضح ، ولقد حرت في أمر مؤلفه أول الأمر ، ثم استوى لي رأي هو إلى اليقين أقرب منه إلى الشك والزعم ، وهو أن الكتاب في أوله ملفق من أحد كتابي الكسائي أو كليهما أعني : المختصر في النحو ، والحدود ؛ أما قسمه الثاني فأخوذ

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

من كتاب أبي عمر الجرمي ، الذي لخص فيه كتاب سيبويه ، وذلك أن ناسخاً على مقدار غير قليل من الجهل لفق كتاباً في النحو جمعه من هنا وهناك ، نقل فيه مذاهب شتى لا تجتمع في كتاب واعٍ ، وربط فيه بين المتباعدات التي لا يدنو بعضها من بعض .

والذي يدل على أن قسمه الأول من كتابي الكسائي أشياء كثيرة ، دونك بيانها وتفصيلها :

١ – ان المؤلف يروي مباشرة عن عيسى بن عمر ، والخليل بن أحمد ، ويونس بن حبيب ، وأبي الحسن الأخفش ، ويذكر ذكراً عابراً سيبويه وقطربا ، ( انظر : ٩ ، ٣٣ ، ٣٥ ، ٣٧ ، ٤٠ ، ٤١ ، ٤٤ ، ٤٦ ، ٤٨ ، ٤٩ ، ٥٥ ، ٥٧ ، ٧١ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ) ، وتختفي هذه الأسماء في القسم الثاني ، وإذا ذكرت فإنما يكون الكلام فيها منقولاً عن سيبويه ( انظر : ٢٧٧ ، ٣٠٨ ) .

والمهم في الأمر أن الكسائي هو النحوي الكوفي الذي لقي هؤلاء الشيوخ وروى عنهم ، أما تلميذه الفراء فقد لقي يونس بن حبيب وسيبويه ، والأخفش ، وقطربا ، ولكنه لم يرو عن غير يونس .

٢ – ويؤكد هذا أيضاً ما في القسم الأول من دلالة على سعة رواية المؤلف ، فهو ينقل عن العرب الفصحاء مباشرة دون واسطة ، إذ روى عن بني دارم ، ونهشل ، وعبس ، وأسد ، وقيس ، ( انظر : ١٩ ، ٢١ ) وقد يعمم في الرواية ، كأن يقول : وبنو تميم الشاميون ، يجعلون كذا وكذا .. أو : سمعت بعض التميميين ينشدون ، أو بعض الكنديين ، أو يقول : اليانون يقولون كذا ، أما المضريون فيقولون كذا ... أو : أهل

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

الغور ينشدون ، وبعض العرب النجديين . ( انظر : ٢٤ ، ٣٦ ، ٤٠ ، ٤٧ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٦٢ ) وهذا أسلوب كوفي نجده في كتاب الفراء : معاني القرآن ، أو كتابه : المذكر والمؤنث ، ونجده في كتب ثعلب وأبي بكر بن الأنباري الكثيرة ، أضف إلى ذلك أن الكسائي رحل إلى البادية وأنفد فيها خمس عشرة قنينة حبر — كما تقول الرواية — عدا ما وعته حافظته من كلام العرب ورواياتهم . والأماكن التي يحددها هذا الكتاب تطابق الأماكن التي ارتادها الكسائي ، وهي بوادي نجد ، وتهامة ، والحجاز .

٣ — وفوق هذا نجد في الكتاب مذاهب كوفية صريحة ، بعضها ينسب إلى الكوفيين جميعاً ، وبعضها ينسب إلى الكسائي خاصة ، وهي :

ا — القولُ بأن خبر ( ما ) الحجازية منصوب بنزع الخافض ، لا بـ ( ما ) نفسها كما يرى سيبويه ونحاة البصرة ( انظر : ٣٦ ، ٥٧ ) .

ب — جوازُ العطف على اسم ( إنّ ) بالرفع قبل مجيء الخبر ، وإن كان اسمها معرباً ، وهذا رأي ينسب إلى الكسائي خاصة ، ( انظر ٣٥ ، ٣٦ ) .

ج — جعلُ فاء السببية هي الناصبة للفعل المضارع ، لا ( أنْ ) مضمرة وجوباً كما يرى البصريون ( ص ٥٠ ) .

د — جعل ( إنْ ) المخففة من الثقيلة نافيـــةً ، واللام الفارقة بعدها أداة حصر ، وهذا مذهب كوفي مشهور ( انظر : ٥٩ ) .

هـ — جعلُ ( إلا ) في الاستثناء بمعنى الواو في بعض المواضع . ( انظر : ٢٤٥ - ٢٤٦ ) وهذا مذهب يأباه البصريون ويرفضونه .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

٤ — وكذلك نجد مصطلحات كوفية كتسمية الزائد حشواً ، وتسمية حرف الجر صفة ، وتسمية النفي جحداً ، وتسمية الفعل المتعدي واقعاً ، ( انظر : ٢٤ ، ٢٥ ، ٤٩ ، ٦١ ، ٦٢ ) . صحيح أن بعض البصريين استعملوا أحياناً بعض هذه المصطلحات ، إلا أنك حين تضع هذا الدليل بجانب ما تقدّمه تجده مما يُستأنس به ، ويركن إليه .

٥ — وهناك دليل آخر هو ما نجده في القسم الأول خاصة من نسبة الأوجه النادرة التي يأباها البصريون إلى لهجات عربية ، وتلك سمة كوفية تلتمس في آثار النحاة الكوفيين ، وفي كتب الطبقات التي تحدثت عنهم ، ( انظر : ١٤ ، ١٦ ، ١٧ ، ١٩ ، ٢١ ، ٢٤ ) .

٦ — وفي موقفه من القراءات دليل آخر ، فهو لا يكاد يذكر من القراء إلا ابن مسعود ، وهو — كما تعرف — مقرىء أهل الكوفة ، وكثيراً ما يُذكر في كتب نحاتهم . ( انظر : ٦٠ ، ٦١ ) .

على أن الكتاب يضطرب في هذا نفسه ، إذ نراه يتناقض ، ويذكر من الأوجه أو يبدي من الظواهر ما ينفي أن يكون كوفياً ، فعلى الرغم من أنه ذهب مذهب الكوفيين في عمل ( ما ) الحجازية في ( ص ٢٦ ، ٥٧ ) . نراه يعود إلى رأي البصريين في الصفحة ( ٧٧ ) فيجعلها عاملة عمل ( ليس ) ، ويجعل الخبر منصوباً بها لا بنزع الخافض .

بل إنه يذكر الكوفيين ويرد عليهم في بعض الأحيان ، وقد يسميهم بغداديين ، كما كان يفعل بعض نحاة القرن الرابع كابن السراج ، والفارسي ، وابن جني . ( انظر : ١٧٦ ، ١٧٧ ، ٢٢٠ ) .

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

- ٤ -

بقي أن نتحدث عن القسم الثاني من الكتاب ، وهو الذي أخذ من كتاب الجرمي الذي لخص فيه كتاب سيبويه . فالمعروف في تاريخ هذا العلم أن أبا عمر الجَرْمي من أوائل النحويين الذين عنوا بالكتاب، وبشواهده ، وقد هيأت له عنايته أن يلخص الكتاب كله على سعته وشموله ، ولقب ملخصه هذا بالفرخ ، أي فرخ كتاب سيبويه ، وقد اختلف القدماء في تقويمه ، فعَدّه بعضهم كتاباً جيداً ، ورآه آخرون ضعيفاً غير سويّ . ( انظر : إنباه الرواة ٢/٨٠ ومابعدها . والزبيدي ٧٤ ( ط ٢ ) ، وبغية الوعاة ٢/٩ )

والحق أن الكتاب في صفحاته المتأخرة يلتصق التصاقاً محكماً بكتاب سيبويه ، لايخرج عليه ولا يخالفه في الرأي ، بل إنه ليتـــابعه في استطراداته التوضيحية ، جاعلاً شواهده هي المنطلق إلى الحديث الموجز عن القاعدة اللغوية .

ولابد هنا من ذكر الأمثلة ، وسأكتفي باثنين فقط إيثاراً للإيجاز :

١ - جاء في الصفحة ( ٢٥٩ ) مايلي : « قال الشاعر :

كمُنْيةِ جابرٍ إذ قال ليتي أصادفه وأفقِدُ بعض مالي

حجة أنه قال : ليتى ، ولم يقل ليتني . »

أما كلام سيبويه فهو : « قال الشعراء ليتي . إذا اضطروا ، كأنهم شبهوه بالاسم حيث قالوا : الضاربي . والمضمر منصوب ، قال الشاعر :

كمنية جابر ... الخ . » ( ٣/٣٧٠ هارون )

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وواضح من النصين أن الكلام في الأول موجز غاية الايجاز ، وأنه يتابع سيبويه في الفكرة والشاهد .

وفي الصفحة ( ٢٠٥ ) وما بعدها باب خاص عن ( كم ) ، جاء فيه ما يلي :

« وجَدّاء لا يُرْجى بها ذو قرابة لعطف ولا تخشى السماء ربيبها

هذا حجة لإضمار ( ربّ ) . كأنه قال : ورب جدّاء . »

فهو كما ترى يتحدث عن ( ربّ ) وإضمارها بعد الواو ، وليس لهذا صلة بباب ( كم ) ولكنه يتابع سيبويه في بعض أقيسته التي يوضح بها الظاهرة ، فـ ( كم ) الخبرية يجوز تمييزها بـ ( من ) مقدرةً ، لا بالإضافة ، وقد قيس هذا على إضمار ( رب ) بعد الواو والفاء وبل .

وإلى جانب هذا نجده ينقل أحياناً عبارة سيبويه اللفظية ، كما فعل في الصفحة ( ٢٢٥ ) حيث أثبت قول الشاعر :

فهـــي تزني بأبي وابنيـــا

قال : « إنما أراد : وابني ، و ( ما ) زائدة وصل بها كلامه ، ( وإنما حكت ندبتها ) » فالعبارة الأخيرة لفظ سيبويه نفسه . ( انظر : ٢٢٣/٢ هارون ) وفيه : « وإنما حكى ندبتها » .

وجاء في الصفحة ( ٢٥٤ ) عند الكلام على قول الشاعر :

بعد اللتيـــا والتي والـــلاتي

« وحذف المضاف إليه ليس بأشدّ من حذف صلة التي . » وجاء في سيبويه : « فليس حذف المضاف إليه في كلامهم بأشدّ من حذف تمام الاسم . » ( ٣٤٧/٢ هارون ) . وكذلك نجد مثل هذا في الصفحة ( ٢٣١ )

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

حيث يقول عن ذي الرمة : « كان يسميها مرة مية ، ومرة ميا » وهو لفظ سيبويه نقله عن شيخه يونس بن حبيب . ( انظر : ٢/٢٤٧ هارون ) .

وثمة شيء آخر هو أن المؤلف يشوه في بعض المواضع البحث النحوي الذي في سيبويه ، حتى إنك لاتكاد تقف على غرضه إن لم يكن بجانبك كتاب سيبويه ، فبدلاً من أن يكون هو شرحاً لـ ( الكتاب ) نجد ( الكتاب ) شرحاً له ، ودونك مثالاً واحداً على هذا :

جاء في باب ( كم ) ما يلي : « قال الشاعر :

على أنني بعـــد ما قد مضى ثلاثون للهجـــر حولاً كميلا
يذكرنيك حنينُ العجـــول ونوحُ الحمـــام ينادي هديلا

حجة للفصل ، وذلك أنه فصل بين ( ثلاثين ) وبين ( حولا كميلا ) بالهجر ، ولو جاء الكلام على وجهه لقال : ثلاثون حولاً ، كما تقول : ثلاثون درهماً لك عندي ، ولاتقول : ثلاثون لك عندي درهماً » ( ص٢٠٥ )

فالباب كما ترى باب ( كم ) ، والكلام كله يخلو من ذكر ( كم ) ومن طيفها ، وموضع الشاهد نفسه غامض ، ولابد لك من العودة إلى ( الكتاب ) حتى تقف عليه ، فسيبويه يوازن بين ( كم ) وألفاظ العقود من حيث جواز الفصل بينها وبين التمييز ، أما ( كم ) فالفصل بينها وبينه عربي جيد ، لأنها اسم جامد لاتصرف لها في التقديم والتأخير ، وإنما هي ملازمة لصدر الكلام ، أما العقود فإن الفصل بينها وبين ماميزها قبيح ، لأنها أسماء متصرفة ، تتقدم وتتأخر ، وإذا حصل الفصل فإنما يحصل في ضرورة الشعر ليس غير . ( انظر : ٢/١٥٨ هارون ) ذلك هو موضع الشاهد ، فأين هو مما جاء في الكتاب المحقق ؟



هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net

وأحياناً ترى المؤلف يخطىء فهم سيبويه ، وتضلّ به السبل إليه ، وقد وقع منه هذا في غير موضع من كتابه ، ودونك مثالاً واحداً عليه : جاء في الصفحة ( ٢٣٨ ) عند الكلام على قول الشاعر :

أودى ابن جلهـم عبّـاد بصرمته إن ابن جلهم أمسى حية الوادي

« رخم جلهمة ، وهي أمه . » وجاء في كتاب سيبويه ( ٢/٢٧٢ هارون ) :

« وأما قول الأسود بن يعفر :

... البيت ...

فإنما أراد أمه جلهم . والعرب يسمون المرأة جلهم ، والرجل جلهمة . »

وإذن فإن البيت يخلو من الترخيم ، وإنما أتى به سيبويه ليبنيه على ذلك ، فالشاعر يريد أمه ، واسمها : جلهم ، بغير تاء ، فأتى به على حقيقته من دون حذف . ولو كان يريد أباه لكان في الكلام ترخيم . (١)

* * *

نخلص من هذا كله إلى أن ناسخاً متأخراً أتى على حدود الكسائي ومختصره ، وعلى تلخيص الجرمي للكتاب ، فنقل من هذا ومن ذاك ، ولفق بين الآراء المتباينة ، فأتى كتابه المنسوخ مسوخاً مشوهاً ، لا هو بالنحو الكوفي ، ولا هو بالنحو البصري ، ليس شرحاً للشواهد وليس بعيداً عن الشواهد ، وليت الجهد الذي بذل في تحقيقه توفر على كتاب أكثر نفعاً ، إذن لأفاد في نشر التراث ، وقدم مانحتاج إليه .

**محمد خير الحلواني**

---

(١) وانظر مثل هذا في الصفحة ( ٣٢١ )

هدية مجمع اللغة العربية بالتعاون مع شبكة الألوكة
www.alukah.net
شبكة الألوكة www.alukah.net